

وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى

د. فضل الله
الأستاذ المشارك، كلية اللغة العربية
الجامعة الإسلامية العالمية بسلام آباد

Abstract

This article has treated the position of the Arab critics on the utility of the poetry, starting from its definitions according to the well-known lexicographers and critics, who focus on the formal and psychological effects created by the poetry in both the audience and the readers. This is because the comprehensive definition is not easy due to the fact that those who take up this topic for consideration view it from different angles.

After discussing the definition, the article depicts the utility of the poetry, giving the different opinions of critics who are divided into three groups: One of them is of the view that arts in general, of which poetry is a branch, is used for the purpose of education and training. The other group says that any art is for enjoyment and enrapture only, there being no other purpose. However, the third group views that it is used not only for enjoyment but for other purposes also and these two purposes accompany each other. In my view, the later group is just because other purposes, together with enjoyment are required for constructive and purposeful literature.

The study of the classical literature reveals that the purposes of poetry are manifold and that poetry is so prestigious to Arabs that it is their compendium and encyclopedia, representing their life. These purposes are ethical and pedagogic.

Arabs use it as a weapon for the defence of their tribes. Similarly they use it for the display of their nobility. It is also a source

of knowledge and wisdom for them. Above all, It is a basic requirement for the understanding of religious heritage represented by the Holy Quran and the Sunna of the Holy Prophet (P.B.U.H).

They also used poetry for training purposes, i.e, to turn a close-fested person generous and a coward, brave. Moreover, it is the best device for the protection of classical language. It is cited by the grammarians to establish their rule of grammar and proverbs are also quoted from this source of language.

So, it may be concluded that it is neither an art for the sake of art, nor it is for mere enjoyment. Rather, it is an art, tasteful and full of enjoyment. Even this taste and enjoyment underlie moral purposes which help the audience nourish their values.

فاتحة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:
فتدور دائرة هذا البحث حول وظيفة الشعر عند النقاد القدامى الذين تناولوا هذا الموضوع واستنطقت نصوصهم وآراؤهم ، لنعرف كيف فهم نقادنا القدامى وظيفة الشعر، وذلك من خلال مواقفهم النقدية المتصلة بتعريفاتهم وحدهم الشعر وحديتهم عن مهمته.

بما أن البحث عن الغايات وأسرار تأثيره في نفوس الأفراد يؤدي دورا مهما في تنشيط الفن الأدبي وأن تحديد غايات أعمال البشر وتقوم أفعالهم وتمييز أنماط سلوكهم مهم جدا. ولذا اهتم علماء الأدب والنقد اهتماما بالغا لإحاطة الأدب والفن.

وكانت حصيلة هذا البحث جملة من الآراء المختلفة باختلاف العلماء في تحديد مفهومات الفنون، وتصوّر أهدافها، وأسباب تأثيرها.
والحقيقة أن تحديد الماهية والغاية في عالم الفنون أمر صعب جدا. وقلما تفصح الظواهر الشكلية عن الحقائق والأسرار الكامنة فيها.

على الرغم من اعتراف البشرية كلها بقيمة الشعر وعظم تأثيره، ولكن الكثيرين يختلفون في رؤية السر الذي تكمن فيه روح هذه القوة، إذ أن أغلب الأحكام تكون أحكاما ذوقية على قيم جمالية. وهي أحكام تتعلق بلذة غير عقلية.

ولعل هذه الصعوبة هي السر فيما ذهب إليه بعض المفكرين من أن الشعر ضرب من النبوغ أو الإلهام، لا يصدر فيه الشعراء عن حكمة، ولكنهم كالكهنة الذين يرددون كلاما حسنا لا يفهمون معناه.

تمتد جذور وظيفة الشعر إلى عمق الثقافة والحضارة، وتختلف هذه الوظيفة حسب العصور والثقافات، وتتعدد الإجابات حولها بتعدد المداخل النقدية، انطلاقا من إشكالية يلخصها السؤال المركزي التالي : عم نبحت في الشعر؟ هل نبحت فيه عن المعارف العامة أم الحكمة، أم اللغة، أم التاريخ والأنساب، أم الفن والجمال؟ وما العوامل المؤثرة في تحولات الوظيفة الشعرية وتبدلها في مختلف مراحل الشعر؟

وفيما يلي يحاول البحث تسليط الأضواء على وظيفة الشعر عند النقاد القدامى. تفرض طبيعة البحث أن يُلقى الضوء على المصطلحات مثل " الوظيفة " و" الشعر" ليكون الدخول في الموضوع على وعي وبصيرة، ثم يتطرق البحث في تناول وظيفة الشعر عند النقاد القدامى، وأخيرا يقدم لب البحث. إن شاء الله تعالى .

اختار الباحث منهجا معيناً في إيراد المعلومات وذكر المصادر والمراجع بحيث حاول قدر الاستطاعة أن تنسب الآراء إلى مصادرها الأصلية وما اقتبسته وضعت فيها علامة الاقتباس (" ") وإذا نقلت معنى من كتاب ما أو تصرفت فيه أشرت إليه في الهامش بكلمة يراجع أو راجع أو ينظر، ثم ذكرت المرجع الذي استفدت منه. وذكرت تفاصيل المصادر والمراجع عند ورودها لأول مرة في الهامش بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب ومعلومات الطبع واكتفيت ببيان اسم الكتاب والجزء والصفحة عند التكرار.

والبحث محاولة متواضعة في بيان وظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى. والموضوع قديم، وحاول الباحث تقديمه بصورة ملائمة شيقة بأسلوب جديد، وإن وفق

فمن الله تعالى وفضله، وإلا فالجهود البشرية قاصرة تحتمل الخطأ والصواب، ويرحب الباحث إرشادات الأساتذة وآرائهم القيمة.

تعريف الشعر:

كثرت أقوال الأدباء والنقاد في بيان مفهوم الشعر؛ لأن فن الشعر من الفنون الإنسانية، واختلفت الآراء في محاولات وضع الحدود الثابتة؛ إذ أن للأحاسيس والمشاعر دخلا كبيرا في التأثير بهذه الفنون، وأن الأذواق تختلف في تقدير جهات الإبداع، وأسرار الإمتاع التي تكمن في الأعمال الشعرية.

ولذلك كان أكثر هذه الحدود والتعريفات أشبه بالأوصاف التي تقوم على الإمام ببعض الظواهر الشكلية، أو التأثيرات النفسية التي يُحدثها الشعر في نفوس متلقيه أو الناظرين فيه. وفيما يلي نحاول تقديم أشهر التعريفات عند أصحاب المعاجم والنقاد القدامى.

عرّف ابن منظور الشعر وقال " والشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية... وقائله شاعر لأنه يشعر به غيره أي يعلم به"⁽¹⁾ وقال الفيروز آبادي : أطلق العرب على علم شعرا، وإن غلب على الكلام المنظوم لشرفه بالوزن والقافية⁽²⁾.

قد حاول العلماء أن يعرفوا الشعر بما يميزه من غيره من فنون القول وانصبّ اهتمامهم بالشكل الخارجي أكثر من اهتمامهم بصورة الشعر وماهيته، فقد رأى ابن سلام الجمحي (ت 231هـ) أن " المنطق على المتكلم أوسع منه على الشعر، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلم"⁽³⁾ وفضل المبرد (ت 286هـ) الشاعر بقوله : أن صاحب الكلام الموصوف . الشاعر . أحمد لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزنا وقافية"⁽⁴⁾ فالوزن والقافية هما ميزتان أساسيتان عند هؤلاء. والشعر عند قدامة بن جعفر (ت : 337هـ) " قول موزون مقفى يدل على معنى"⁽⁵⁾. وحدوده عند الحاتمي (ت : 388هـ) " اللفظ والمعنى والوزن والقافية"⁽⁶⁾ وعند ابن فارس (ت : 395هـ) " كلام موزون مقفى دل على معنى ويكون أكثر من بيت ... لأنه جائز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر عن غير قصد".⁽⁷⁾

وقد أشار الباقلاني (ت : 403هـ) إلى " أن العرب تعارفوا على أن الشعر هو الكلام القائم على الأعراب المحصورة المألوفة".⁽⁸⁾ وروي أبو حيان التوحيدي عن أبي الحسن العامري أن الشعر "هو كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة، بقواف متواترة، ومعان متعددة، ومقاطع موزونة، ومتون معروفة".⁽⁹⁾ ولم يخرج المرزوقي (ت : 421هـ) عن تعريف قدامة بن جعفر ومن تأثره في ذلك فالشعر عنده لفظ موزون مقفى يدل على معنى"⁽¹⁰⁾ ورأى المعري (ت: 449هـ) "الأشعار جمع شعر، الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط زاد أو نقص أبانه الحس"⁽¹¹⁾. وقال ابن رشيق القيرواني (ت : 456هـ) " إن الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء : اللفظ، والوزن، والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر".⁽¹²⁾ وقد ردّد عبد الرحمن بن خلدون (ت : 732هـ) هذا التعريف في قوله " الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلّها على روي واحد وهو القافية".⁽¹³⁾ وقد أحصى الشريف الجرجاني (ت : 816هـ) معاني الشعر عند أصحاب اللغة وأصحاب العروض وأصحاب المنطق فقال "الشعر لغة العلم، وفي الاصطلاح كلام مقفى موزون على سبيل القصد... والشعر في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من المخيلات، والغرض منه انفعال بالترغيب والتنفير".⁽¹⁴⁾

والتأمل في هذه التعريفات لعلماء المعاجم والنقاد والفلاسفة يجد أن هناك إجماعاً على أهمية الوزن وتفرد الشعر به، وقد عدّه الجاحظ (ت : 255هـ) الجانب المعجز في الشعر، وذلك في قوله " والشعر لا يستطيع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب لا كالكلام المنشور"⁽¹⁵⁾ وذهب الباقلاني إلى أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وكان شعره مردولاً، وربما أخرجته عن كونه شاعراً"⁽¹⁶⁾.

رغم الاختلاف اليسير بين النقاد في تعريف الشعر إلا أن هناك تشابهاً واضحاً؛ لأن التعريفات شكلية متشابهة لم تتناول عملية الابتكار ولم تشر إليها، ولكنها مع ذلك ذات قيمة لا تنكر لأنها كانت نتيجة وعي جماعي من النقاد والعلماء

لقيم وتقاليد الشعر العربي الخارجية، حتى أصبحت هذه القيم تُشكّل جزءاً من المقومات نظرية عمود الشعر العربي.

النظرة السطحية إلى الاتفاق بين جمهرة النقاد في تعريف الشعر بأنه " كلام موزون مقفى يدل على معنى " توحى للوهلة الأولى أن النقد العربي نقد شكلي، وأن النقاد العرب يهتمون في معالجة الأطر الخارجية للشعر، ولكن عند إمعان النظر في التعريفات السابقة ينكشف بعض الاجتهادات أثناء تعريفات الشعر، مثل الإشارة إلى أهمية الغريزة والنية والقصد عند أبي العلاء المعري وابن رشيق القيرواني. ففي اشتراط الغريزة لقبول الشعر إشارة إلى طبيعة الشعر العاطفية كما أن في النية والقصد عودة بطبيعة الشعر إلى مبدأ الطبع وصدق الإحساس.

والحق أن تعريف الشعر تعريفاً جامعاً ومانعاً غير يسير لأن كلمة "الشعر" إذا أطلقت أثارت في النفوس معاني مختلفة حسب دراستهم أو ما قد ينتظرون من هذا الفن أداءه، فالعروضيون أو اللفظيون عامة يفهمون من هذا اللفظ صورته الظاهرة في الوزن والقافية الدّين يميزانه من النثر، والمناطقية يرون فيه وسيلة مؤثرة تبعث في النفوس انفعالاً ما، فنظروا بذلك على ناحيته المعنوية، على أن الأدباء أنفسهم انصرفوا إلى وصف الشعر أو إطراره دون العناية بحده حداً جامعاً مانعاً كما يقول المناطقية.

أما كلمة " الوظيفة" على الرغم أن مصطلح (الوظيفة) حديث إلا أن مضمونه قديم لأن النقاد العرب القدامى وأصحاب المعاجم قد تنبهوا إلى هذه الكلمة في كثير من كتاباتهم.

جاء في معجم العين " الوظائف جاء جمع وظيفة، والوظيفة في كل شيء ما تقدمه كل يوم من رزق أو طعام أو علف، أو شراب. قال الشاعر :

أبقت لنا وَقَعَاتِ الدَّهْرِ مَكْرُمَةً ما هَبَّتِ الرِّيحُ والدُّنْيَا لَهَا وَظْفُ

وهي شبه الدول مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء، أي جعلت وظيفة الناس وقد وظفت له توظيفاً ووظيفة، ووظفت على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله ⁽¹⁷⁾ وفي صحاح الجوهري : إن الوظيفة ما تقدر للإنسان في كل يوم من طعام، أو

رزق، وقد وظيفته توظيفاً⁽¹⁸⁾ وفي المعجم الوسيط : " إن الوظيفة ما قدر من عمل أو طعام أو رزق، وغيره ذلك في زمن معين، وهي العهد والشرط، والمذهب والخدمة المعينة"⁽¹⁹⁾.

أما دلالة هذه الكلمة في الاستعمالات الحديثة فقد أخذت (الوظيفة) جانباً اصطلاحياً في الكتابات النقدية المعاصرة قريباً من دلالة " الخدمة " التي تحدثت عنها المعجمات السابقة، وهذه نقطة التقاء المعنى اللغوي القديم مع المعنى الاصطلاحى الحديث ولهذا شاعت في الكتابات المعاصرة مصطلحات مثل وظيفة الشعر، ووظيفة النثر، ووظيفة النقد.

والوظيفة في كتب النقد الأدبي الحديث .. اتجه يربط بين بنية الأثر الفني ووظيفته جمالية كانت أم أخلاقية، فالوظيفة إذاً تحديد لمهمة ما يتبناها اصطلاح معين وهي في الشعر تعنى الإطار الفكري الذي يغلف مضمون الشعر الذي يبدع الشعراء.

وظيفة الشعر :

السؤال عن وظيفة الشعر قدم قدم الشعر نفسه؛ لأن الشعر ارتبط منذ نشأته بتحقيق غايات معينة يهدف إليها الشاعر من خلال بناؤه اللغوي.

وقد اختلفت هذه الغايات باختلاف الاتجاهات الفكرية، والنظريات النقدية التي تعالج مفهوم الشعر، وتأثيره في الحياة. ولكن جماع الآراء المختلفة التي طرحت في بيان وظيفة الأدب أولاً ووظيفة الشعر ثانياً انطلقت من منزعين اثنين :

أحدهما : يذهب أن الفن عموماً والأدب والشعر فرع منه، وظيفته التعليم والتهديب، وتحقيق هدف اجتماعي، إصلاحي، إعلامي، فهو أداة نافعة بشرط أن يحسن تجنيدها في خدمة المجتمع وتربية الأجيال.

ثانيهما : يرى أن الفن للمتعة والإطراب، وهو مجرد عن الغاية النفعية، وقد يغلو هذا الاتجاه فيذهب بعضهم إلى حدّ القول إن النفعية تفسد الفن⁽²⁰⁾.

وذهب قوم إلى الجمع بين غايتي المنفعة والمتعة، ورأوا أن إحداها لا تتحقق إلا بوجود الأخرى وصرّحوا بقولهم " إنما هم الشاعر أن يُعلّم ويُمتّع، ولذلك ذهب

سدني في دفاعه عن الشعر إلى البحث في كل نوع منه وتقديره بالنسبة لأمره، فالشعر البطولي سيد الأنواع الشعرية لأنه أقدرها على إذكاء الرغبة في العقل ليطمح إلى المعالي (21).

قد أبعاد أفلاطون الشعراء من مدينته الفاضلة لأنه كان يظن أنهم يملأون عقول الناس بالأوهام والخرافات كما أنهم يصرفون الناس عن جد العمل إلى هزل القول، فكان الشعر مع أفلاطون بلا وظيفة، اللهم إلا إذا كان أناشيد تتقدم صفوف المحاربين، ترن أصداؤها في ظلال راياتهم (22).

أما تلميذ المعلم الأول أرسطو قد ربط وظيفة الشعر بالطبيعة الإنسانية في بحثها عن المتعة والإحساس بالجمال فقال: " يبدو أن الشعر . على العموم . قد ولده سيبان و أن ذيك السببين راجعان إلى الطبيعة الإنسانية، فإن المحاكاة أمر فطري موجود للناس منذ الصغر، ثم إن الالتذاذ بالأشياء المحكية أمر عام للجميع" (23).

أما حينما نأتي إلى الثقافة العربية القديمة، فنجد للشعر وظائف متعددة حسب الخلفية الثقافية والمقياس النقدي الموجه لرؤية الناقد، فهذا الجاحظ يعبر عن ذلك بقوله: " طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يتقن إلا غريبه، فرجعت على الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيده فوجدته لا يتقن إلا ما تصل بالأخبار، وما تعلق بالأيام والأنساب، فلم أحظر بما أردت إلا عند الأدباء والكتاب كالحسن بن وهب ومحمد عبد الملك الزيات (24) .

إذا تأملنا في كلام الجاحظ فنجد فيه إشارات واضحة إلى مقاييس معرفية مختلفة تحدد وظيفة الشعر، فالأصمعي (ت : 210هـ) لكونه لغويا جعل وظيفة الشعر الاحتفال بالجزل والغريب من اللغة وبأخبار العرب وأيامهم، كما هو الشأن في شعر امرئ القيس وزهير والنابغة . أما الأخفش العالم اللغوي والنحوي الصارم فيوصل وظيفة الشعر بتيسير تعلم قواعد اللغة العربية والانضباط إليها، لذلك أخرج من حرم الشعر كل بيت شعري ينتهك قواعد سيبويه، وهجومه على شعر بشار خير دليل على ذلك. أما أبا عبيدة فقد قصر وظيفة الشعر على نقل الأخبار والأيام والأنساب، في

حين نجد الجاحظ، يذهب بوظيفة الشعر بعيدا عن الاستشهاد به في التعيد للغة أوفهم القرآن أو الحديث إلى الاحتفال بأفانين اللغة والتطريب للترويح عن النفس عند الكتاب الشعراء، الذين يبدعون الشعر صدقا وهواية لا احترافا، كابن وهب والزيات ممن لا يحتفل بهم التاريخ الرسمي للأدب.

نظرا لهذه الآراء المختلفة والمتضادة أحيانا يجدر بنا أن نلقي نظرة متأمله على وظائف الشعر في التراث النقدي العربي لنعرف الخلفيات الثقافية والمعرفية المتحكمة في توجيه الشعر وتحديد وظيفته في كل فترة من فترات هذا التراث.

إذا أمعنا النظر في تاريخ الأدب العربي عامة والنقد العربي خاصة فنجد أن وظيفة الشعر اختلفت باختلاف الزمان والمكان والأشخاص؛ إلا أن هناك وظائف معينة اشتهرت بين النقاد، وهذه الوظائف بعضها كانت عامة لا تختص بزمن دون زمن وبإقليم دون إقليم في حين أن بعضها كانت مخصوصة بزمن أو بإقليم. وفيما ما يلي نقدمها بشيء من التفصيل بمشيئة الله تعالى.

1- الدفاع عن القبيلة:

من أبرز وظائف الشعر وأقدمها وظيفة الدفاع عن القبيلة؛ لأن الشاعر يحامي عن القبيلة ويدافع عنها بالقول المؤثر النفاذ، فكأنه رجل الإعلام، أو صحفي هذا الزمان، يفتخر بمآثر القبيلة، ويدافع عن سياستها ويمجدها، ويصور قوتها، ويهاجم الأعداء المتطاولين عليها، وقد صور أبو عمرو بن العلاء فرط حاجة العرب إلى الشعر قائلا " الذي يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم ويهاجم شاعر غيرهم فإراقب غيرهم"⁽²⁵⁾ وقد لخص النهشلي دور الشاعر وقال وهو " ذبهم عن الأحساب، وانتصارهم به على الأعداء".⁽²⁶⁾ وقد أورد ابن رشيق في العمدة نماذج من الشعر الذي قيل في الدفاع عن القبيلة والانتصار لها من الخصوم تحت عنوان " باب احتماء القبائل بشعرائها" وأكد في الكتاب المذكور سابقا أن القبيلة العربية إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء، يلعبن بالمزاهر، كما

يصنعن في الأعراس⁽²⁷⁾ والواقع أن الشاعر في العصر الجاهلي " شخص منزلته تفوق منزلة البشر عموماً"⁽²⁸⁾ أو قل إنه " نبي قبيلته وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب".⁽²⁹⁾ ووظيفته الأساسية والطبيعية أن يكون لسان عشيرته، " يحمي عرض بني قبيلته ويخلد بلادهم ويشارك في المعارك راشقاً العدو بسهام شعرية لها قوة خارقة للعادة"⁽³⁰⁾ ويصنع معرفتها وعلمها، فيتغنى بأمجادها وأيامها وأنسابها ومعتقداتها، ويحمي شرف الدم والعرق، إنّه مرآة تنعكس عليها الصورة المثالية للجماعة القبلية. كانت هذه الوظيفة من الوظائف في العصر الجاهلي، ولما جاء الإسلام وانطفأت نار العصبية القبلية تحوّلت عن حماية القبيلة إلى حماية الدين والمذهب. حيث يستخدم الشاعر موهبته الشعرية لحماية دينه ومذهبه.

2- مصدر المعرفة (ديوان العرب) :

من المعلوم أن الشعر خلاصة التجارب الإنسانية، مصدر للمعرفة، ووعاء للثقافة، ولذلك جعل العرب الشعر وعاء تجاربهم، ومستودع حكمتهم، وهو ديوان معارفهم وعلومهم، وتكثر استعمال عبارة " الشعر ديوان العرب" التي تعنى بمصطلح العصر " دائرة معارفهم". والديوان عند العرب لفظ له دلالة مشتركة تحيل إلى السجل الذي أخذ معنى مجازياً عند الجاحظ بمعنى الديوان الذي يحفظ تراث العرب. قد أحسن النقاد العرب بالقيمة المعرفية للشعر العربي منذ وقت مبكر جداً، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجعل الشعر أصح علم عرفته العرب يقول " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"⁽³¹⁾ وقيل إنه " ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلاّ تمثل فيه بيت شعر"⁽³²⁾ وجعل عبد الملك بن مروان الشعر مصدر الخبرة في تعلم مهارات معينة إذ أثر عنه قوله: "من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل"⁽³³⁾.

قال ابن فارس: "الشعر - شعر العرب . ديوانهم وحافظ آثارهم، ومقيد أحسابهم"⁽³⁴⁾ وقال الثعالبي : " كان يقال : الشعر ديوان العرب، ومعدن حكمتها، وكنز أدبها"⁽³⁵⁾ وقال التبريزي عن الشعر: " أفضل من كان به أمهر، و

حظه فيه أوفر، وهم العرب الذين جعلوه ديوانهم الذي به يحفظون المكارم والمناسب، ويقيدون به الأيام والمناقب، ويخلدون به معالم الثناء، وييقون به مواسم الهجاء، ويضمنونه ذكر وقائعهم في أعدائهم ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم" (36).

وقرن أبو عمرو بن العلاء الشعر بالعلم فقال: " ما انتهت إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير ... " (37). ووضح ابن قتيبة عن احتواء الشعر العربي على كم هائل من المعرفة والخبرة والحكمة بقوله: " الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها، ومستودع أيامها، والصور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام، ومن لم يقيم عندهم على شرفه، وما يدعيه لسلفه، من المناقب الكريمة، والفعال الحميدة، بيت منه؛ شذت مساعية وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما، ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادرة، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أدخلها على الدهر، وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العدو، وغض عين الحسود" (38).

وجعل عبد الكريم النهشلي الشعر سببا أساسيا لبقاء تاريخ القبائل ومآثرها قائلا: " فلولا الشعر لم يبق بهذه الأفعال علم، ولا رفع لها منار، ولدرست آثارها، كما درس كثير لم يقيد الشعر، كالذي نسي من أفعال بني حنيفة وعجل، إذ لم يكن فيهم شعر، فدخلوا في جملة الخاملين... " (39).

وكذلك ابن طباطبا العلوي رأي أن المهمة الأساسية للشعر فهي أنه مصدر صادق لمعرفة المثل والتقاليد العربية، فقد أودع القوم في أشعارهم حصيلة خبرتهم وتجاربهم وما تضمنته حياتهم من أحداث وعادات، فهو إذن وثيقة معرفية لحياة العرب، وثقافة لا بد منها لكل متأدب يريد أن يعرف تراث أمته وحضارتها (40). واتفق الجاحظ وابن قتيبة على أن الشعر العربي مصدر المعرفة، فنحا ابن قتيبة منحى الجاحظ في اتخاذ الشعر العربي مصدرا للمعرفة، فكتب كتابا في الأنواء، وآخر في الأشربة، وثالثا في

الخيال، ليثبت لأنصار الكتب المترجمة أن في الشعر العربي ما يضاهاه حكم الفلاسفة، وعلوم العلماء... " (41).

الخلاصة إن الشعر ديوان تراث العرب، ومادة تاريخهم وسجل حياتهم، ولذا حرصت العرب بحفظ أشعارها لتأخذ العبرة منها وتوثق العلاقة بين حاضرها وماضيها، ولتكون معلما وهاديا للأجيال القادمة، يتعلمون منها المجد والشرف.

3- الحكمة :

إن الشعر عند العرب مصدر الحكمة والتربية والتهذيب، وكان الشاعر يربي قومه على القيم الفاضلة، والأخلاق الحميدة، ويزجرهم. في الوقت نفسه. عن الأفعال الدنيئة يقبّح البخل فيحمله على السخاء، ويسفه الجبن فيحملها على الجود، وينفر من الفواحش والمنكرات ومذموم الخصال، فتشبه النفس على الفضيلة، وتسمو في مدارج الرفعة والخير.

والشعراء يقومون بدور الأساتذة والمصلحين، وهم يرشدون الناس بشعرهم ويجعلون سبل المكارم ممهدة لطلابها، ولذا قال العلوي : " إن الشعراء يحضون على الأفعال الجميلة، وينهون عن الخلائق الذميمة، وأنهم ستوا سبيل المكارم لطلابها، ودلوا بناة المحامد على أبوابها... " (42).

ولارتباط الشعر بالحكمة كانت العرب لا تعد الشاعر فحلا حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره فلم يعد امرأ القيس فحلا حتى قال :

والله ما انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

وكانوا لا يعدّون النابغة فحلا حتى قال :

نبئتُ أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار على زار من الأسد (43)

4- فهم القرآن والسنة :

كان الشعر العربي مدخلا مهما لفهم الأسرار القرآنية، وفك رموزه ودقائقه، وكان عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما دائما يفسران القرآن بالشعر الجاهلي. روي عن عمر أنه سأل مرة عن معنى قوله تعالى : (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى

تَخَوُّفٍ) (44) فقام شيخ من هذيل وقال : هذه لغتنا، التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال نعم وروى قول الشاعر :

تَخَوُّفَ الرَّجُلِ مِنْهَا تَامِكاً فَرْدَا كَمَا تَخَوُّفَ عَوْدِ النَّبْعَةِ السِّفْنِ

فقال عمر لأصحابه : " عليكم بديوانكم. قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم " (45).

وأما ابن عباس رضي الله عنهما فكان كثير الإحالة على الشعر العربي لأجل فهم القرآن الكريم، وقد أثرت عنه أقوال كثيرة تعبر عن هذا المنزع. قال : إذا تعاجم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر عربي " (46).

وقال : " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب " (47). وروى عن عكرمة أنه قال : ما سمعت ابن عباس فسّر آية من كتاب الله. عز وجل. إلا نزع فيها بيتا من الشعر، وكان يقول " إذا أعياكم تفسير أي من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب " (48).

كان ابن الأزرق (49). يسأل عن عباس رضي الله عنهما عن أشياء من القرآن فيحبيه، فيسأل ابن الأزرق من ابن عباس الدليل على ذلك من كلام العرب، فينشده ابن عباس شعرا .

سأل ابن الأزرق عن قوله تعالى : (فمنهم من قضى نحبه) (50) قال : أجله الذي قدرله. قال : وهل قالت العرب ذلك؟ قال : نعم، أما سمعت قول ليبيد:

ألا لا تسألن المرء ماذا يحاول أنحبَّ فيقضى أم ضلالاً وباطلاً (51)

وسأله نافع-رضي الله عنه- عن قوله تعالى : (وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) (52). قال : لا تعرق فيها من شدة حرّ الشمس قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم، أما سمعت قول الشاعر :

رأى رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فيضحى، وأما بالعشيّ فيخصر (53).

نظرا لهذه الغاية التعليمية كان ابن عباس يهتم اهتماما بالغا بالشعر ويستمع إلى كلام الشعراء بكل جدية وانهماك، ومضى كثير من النقاد العرب على آثار ابن

عباس يؤكدون هذه الوظيفة التعليمية للشعر. صرح أبو زيد القرشي في مقدمة الجُمهرة من وظائف الشعر العربي أنه اتخذت منه الشواهد على معاني القرآن والحديث، ولذلك عقد باباً سماه " ما وافق القرآن من ألفاظ العرب " وراح يورد من أشعار العرب ما وقع مثله في القرآن الكريم ليدلّ على أن القرآن نزل بأسلوب العرب، فالشعر إذن شاهد عليه وذريعة إلى فهمه. ولذا جعل علماء علوم القرآن والتفسير معرفة الشعر الجاهلي شرطاً من شروط المفسر والمفتي. قال الإمام الشافعي: " لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر" (54). وقال السيوطي: " وليعتن بحفظ أشعار العرب، فإن فيها حكماً ومواعظ وآداباً، و بها يستعان على تفسير القرآن والحديث " (55).

وقال ابن فارس: الشعر ديوان العرب، به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تُعلّمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله - عزّ وجلّ - وغريب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحديث صحابته والتابعين رحمهم الله تعالى" (56).

وجعل التبريزي علم الأشعار ضرورة لا بد منها في معرفة القرآن والسنة وصّرح قائلاً: " أشرف العلوم كلها الكتاب والسنة.. ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب الدال على الخطأ من الصواب؛ وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات، المفصحة عن المجاز والاستعارات، وعلم الأشعار؛ إذ كان يستشهد بها في كتاب الله عزّ وجلّ وفي غريب حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (57).

وجعل الرازي فائدة الشعر مقصوراً على هذه الوظيفة النفعية فقال: "لولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة والتابعين والأئمة الماضيين لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، وتعمّى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم" (58).

5- التهذيب والتربية :

لا شك أن الأدب يؤدي دورا كبيرا في تهذيب النفوس وتربية الخلق، وأن الدور الخلقى للأدب قد تعمق بمحي الإسلام؛ لأن الكلمة في نظر الإسلام أمانة ومسئولية، وهي جليلة القدر وعظيمة الخطر، ولا يتعامل المسلم معها من غير روية واحتراز " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" (59) بل يفكر طويلا قبل أن ينطق بها، ويعرف أنه مؤاخذ بكل ما يقول؛ إذ لا يكبّ الناس على مناخرهم في نار جهنم شيء مثلما تكبّهم حصائد ألسنتهم، كما أخبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم- .

وقد صرح الخلفاء الراشدون والعلماء الكبار والنقاد دور الشعر في إصلاح للنفس وتهذيب للسلوك، واستثارة للمشاعر الخيرة والأحاسيس النبيلة، ونهي عن الأفعال الخسيسة والخصال الذليلة مما يجعله مادة تربوية تعليمية هامة. قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- في تسويغ الحثّ على تعليم الشعر: "علموا أولادكم الشعر، فإنه يعلمهم مكارم الأخلاق" (60) وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-: تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جليل الفعال، ويفتق الفطنة، ويشحذ القريحة ويجدو على ابتناء المناقب، وادّخار المكارم، وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويزجر عن موقعة الرّيب، ويحض على معالي الرتب (61) وقال معاوية بن أبي سفيان . رضي الله عنهما. يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب" (62).

وقال عبد الملك: تعلموا الشعر، ففيه محاسن تبتغي، ومساوي تنقى. (63) وأوصي الرشيد الكسائي بالأمين والمأمون، فكان من جملة وصيته : رَوْهما من الشعر؛ فإنه أوفى أدب يحض على معالي الرتب" (64).

حينما نأتي إلى اهتمام العلماء والفقهاء بالشعر فنجد أنهم أشاروا وإشارات واضحة في دور الشعر في التهذيب والتربية والتثقيف. قال ابن عباس . رضي الله عنهما . الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه" (65).

وسمع كعب الأحبار قول الخطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
فقال : إنا نجد قوما في التوراة أناجيلهم في صدورهم، تنطق ألسنتهم
بالحكمة، وأظنهم الشعراء" (66).

أطال النقاد العرب عن الوظيفة الخلقية للشعر؛ لأن الإسلام أكد على
استمرار القيم الفاضلة، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحمود الصفات كما قال أبو
تمام :

تداركه إن المكرمات أصابع وإن حُلَى الأشعار فيها خواتم
ولولا خلال سنّها الشعر ما دري بُغاة الندي من أين تؤتى المكارم (67)
قد أشار ابن قتيبة في مقدمة " عيون الأخبار " إلى وظيفة الأدب، وبين
الغرض من الأشعار والأقوال التي تضمنها كتابه فيقول: "هذا الكتاب . وإن لم يكن في
القرآن والسنة، وشرائع الدين، وعلم الحلال والحرام - دال على معالي الأمور، مرشد
لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناه عن القبيح، باعث على صواب التدبير، وحسن
التقدير، ورفق السياسة، وعمارة الأرض، وليس الطريق إلى الله واحدا، ولا كل الخير
مجتمعا في تمجد الليل، وشرد الصيام، وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة،
وأبواب الخير واسعة " (68).

وصرح الثعالبي أهمية الشعر قائلا " إن الرجل . الملك أو السوقة . إذا صيرّ ابنه
في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر، فيقرنه بالقرآن، ليس لأن الشعر كهو،
ولا كرامة للشعر، لكنه من أفضل الآداب، فيأمره بتعليمه إياه، لأنه توصل به المجالس،
وتضرب فيه، وتعرف به محاسن الأخلاق ومشائنها، فتذم وتحمّد، وتمجّن وتمدح، وأي
شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر ؟ " (69) وقال في موطن آخر: "الأدب وسيلة إلى
كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة " (70).

قد شبه كل من ابن قتيبة والثعالبي وظيفة الشعر بوظيفة الدين، إذ هو دال
على الخير، وزاجر عن الشرّ فكذلك اختار ابن عبد البر نفس المسلك فجعل مطالعة
الآداب ضرورة لا بد منها فيقول: "إن أولى ما عني به الطالب، ورغب فيه الراغب،

وصرف إليه العاقل همه، وأكد فيه عرفه . بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب . مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب من أنواع الحكم التي تحي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهى عن الدنيا والمحارم " (71)

وربط أبو العلاء المعري الشعر بوظائف خلقية، وقرن مكانة الشاعر بما فجعل خروجه إلى أغراض دينية سببا في سقوط همته. (72) .

6- الوظيفة النفسية :

قد ربط النقاد العرب الذين تغلب عليهم النزعة الفلسفية والعقلية الشعر بالغايات الخلقية مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد ومسكويه وحازم القرطاجني. وهم تحدثوا كثيرا عن تأثير الشعر، وامتداد سلطانه، وصرّحوا بأن الشعر نفاذ في عمق النفس، فيحدث فيها من التأثير ما يشبه السحر، لأنه فن ممتع لذيد، يمتلك قيمة جمالية متميزة.

وقد صرّحوا أيضا أن الشعر يُثير المشاعر النبيلة الخيرة، فيحمل النفس على الطرب للفضيلة، والانقباض من الرذيلة، ثم يتعدى الأمر هذا الانفعال النفسي إلى سلوك عملي، ومواقف فعلية، يُحمل فيها المتلقي على نقيض ما كان عليه من دنيا وانحطاط، فيسخر بعد الشح، ويشجّع بعد جبن، ويستبشر بعد انقباض.

ولذا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- " نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي الحاجة، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم " (73) وقال مرة أخرى: " الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ، وتطفأ به النائرة، ويتبّخ به القوم في ناديهم، ويعطي به السائل " (74) .

وقال معاوية -رضي الله عنه- لزياد يحثه على تعليم ابنه الشعر: " ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبرّ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل " (75) .

ووضّح النهشلي هذه القدرة الفذة والطاقة النفسية الكامنة على إثارة العواطف الخيرة قائلا " وكم جهد عسير كان الشعر فرج يسره، ومعروف كان سبب إسدائه، وحياة كان سبب استرجاعها، ورحم كان سبب وصلها، ونار حرب أطفأها، وغضب برّده وحقد سلّه، وغني اجتلبه، وكم اسم نوّه به" (76).

وأرجع ابن طباطبا أثر الشعر في النفس إلى قيمة الجمالية، وما يتمتع به من صياغة باهرة تجعله شديدة التعلق بالنفس وبالغ التأثير فيها مثل السحر فيغير العواطف الخبيثة لينزع بدلا منها العواطف النبيلة، يقول ابن طباطبا: " إذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الخلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح، ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخص ودبيبا من الرقي، وأشد إطرابا من الغناء، فسلب السخائم، وحل العقد، و سخي الشحيح، وشجع الجبان" (77).

وتحدث الثعالبي: فأورد قول القائل: "الشعر جزل من كلام العرب، تقام به المجالس، وتستفتح به الحوائج، وتشفى به السخائم، ويقال: المدح مهزة الكرام" (78).
قد ربط النقاد الفلاسفة، بالأثر النفسي؛ لأن الشعر عندهم نشاط تخيلي مؤثر، والتخيل ذو قدرة على إحداث التأثير في النفس، متمثلا في قوة استجابتها حبا وكرها.

فالشعر عند حازم كلام موزون مقفي، من شأنه أن يجيب إلى النفس ما قصد تحببه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما تضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، وقوة صدقه (79).

وخير الشعر ما حرك المشاعر النبيلة، والعواطف الخيرة، وإن الالتذاذ بتخيل الفضائل شرط يقصد إليه في الشعر، ويقول ابن رشد: "ليس يقصد من صناعة الشعر أي لذة اتفقت، لكن إنما يقصد بها حصول الالتذاذ بتخيل الفضائل" (80).

وتستعمل الأقاويل الشعرية عند الفارابي " في مخاطبة إنسان يستنهض لفعل شيء باستعزازه إليه، واستدراجه نحوه، وذلك إما أن يكون الإنسان المستدرج لا رؤية

ترشده، فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخييل، فيقوم له التخييل مقام الروية. وإما يكون إنسانا له روية في الذي يلتمس فيه، ولا يؤمن إذا روي فيه أن يتمتع، فيعاجل بالأقويل الشعرية لتسبق بالتخييل رويته حتى يبادر إلى ذلك الفعل⁽⁸¹⁾.

وقد وضّح علي بن محمد الجرجاني ما اصطلاح عليه المنطقيون من أن الشعر "قياس مؤلف من مخيلات، والغرض منه انفعال النفس بالترغيب أو بالتفجير"⁽⁸²⁾ وصرّح الإمام ابن تيمية قائلا: لما كان الشعر مستفادا من الشعور فهو يفيد إشعار النفس بما يحركها، وإن لم يكن صدقا، بل يورث محبة أو نفرة، أو رغبة أو رهبة، لما فيه من التخييل وهذا خاصة الشعر⁽⁸³⁾.

7- الشعر وعاء اللغة:

قد أشار النقاد القدامى إشارات واضحة إلى دور الشعر في حفظ اللغة وإثرائها، إذ أن الشعر وعاء اللغة ومستودعها، ولذا كان مادة أساسية في تعليم الشعر، وتنمية الملكة البلاغية، وتفصيح اللسان. ولذا سأل معاوية -رضي الله عنه- الحارث بن نوفل: "ما علّمت ابنك؟ قال: القرآن والفرائض. فقال روه فن فصيح الشعر، فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة والشجاعة".⁽⁸⁴⁾ وصرّح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هذا الجانب بقوله "يفتق الفطنة ويشخذ القرية"⁽⁸⁵⁾. وحثت السيدة عائشة -رضي الله عنها- على تعلّم الشعر بقولها: "رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم"⁽⁸⁶⁾.

وضّح ابن فارس هذا الجانب فقال: "به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلّمت اللغة"⁽⁸⁷⁾ وصرّح الباقلاني أن الحاجة إلى الشعر لحفظ العربية⁽⁸⁸⁾.

اتفق العلماء والأدباء قديما وحديثا على أن الشعر لسان الزمان، والشعراء للكلام أمراء⁽⁸⁹⁾ يقصرون الممدود، ويمدون المقصور، ويقدمون ويؤخرون ويومئنون ويشيرون⁽⁹⁰⁾، وأن لغة الشعر تختلف عن لغة النثر؛ لأن الشعر يشتمل على "اللفظ الجزل، والقول الفصل، المنطق الحسن والكلام البين..... وحسن التمثيل والاستعارة والتلويح والإشارة"⁽⁹¹⁾.

في الأخير لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن التخييل هو أساس الشعر وجوهره، فالشعر يتناول الخير وضده ومهمته تحريك النفوس، ولما كانت التجربة الشعرية تبدأ بانفعال نفساني فإن الاستجابة عند المتلقي تبدأ هي الأخرى بانفعال نفسي، ومن هنا فليس من مهمة الشعر أن يتناول الموضوعات المعرفية الأخلاقية من زاوية المنظور المعرفي القائم على المقدمات والحجج والتناج، فذلك أبعد ما يكون عن طبيعة الشعر، فالشاعر إنما يتعامل في علاقته بالكون والحياة والإنسان من زاوية رؤيته الفلسفية الخاصة التي ينفرد بها ويبرز هذا التفرد في قدرة الشاعر على تشكيل قضايا الكون والحياة والإنسان تشكيلا جديدا يصبح الجانب المعرفي الأخلاقي فيه جزءا جماليا فاعلا في لحمه الشعر وسداه.

الخلاصة :

تناول البحث موضوع موقف النقاد العرب القدامى في وظيفة الشعر، وحاول تقديم الموضوع بصورة ملائمة على الرغم من صعوبة الماهية والغاية في عالم الفن، قدم البحث تعريف الشعر عند المعجميين والنقاد المشهورين، فوجد أن معظم التعريفات والتحديدات تهتم بجانب من الجوانب الشكلية أو التأثيرات النفسية التي يُحدثها في نفوس متلقيه أو الناظر فيه؛ لأن تعريف الشعر تعريفا جامعا ومانعا غير يسير لاختلاف نظرة الدارسين تجاه هذا الفن.

تكلم البحث عن مفهوم كلمة "الوظيفة" لغة واصطلاحا ثم سلط ضوءا كاشفا على وظيفة الشعر، وذكر آراء العلماء حول هذا الموضوع فوجد أن النقاد قد انقسموا فيما بينهم إلى ثلاث فئات: فئة تذهب أن وظيفة الفن عموما والأدب الشعر فرع منه وظيفته التعليم والتهديب، وفئة ترى أن الفن للمتعة والإطراب وهو مجرد عن الغاية. وفئة ثالثة تجمع بين غايي المنفعة والمتعة، وترى أن إحداها لا تتحقق إلا بوجود الأخرى، والفريق الثالث يسلك سبيل الحق والإنصاف؛ إذ الغاية والمتعة كلاهما مطلوبان في الأدب الهادف البتاء.

حاول البحث إلقاء أضواء كاشفة على وظائف الشعر في الأدب العربي القديم فوجد أنها متنوعة، وأن هذا الفن (الشعر) اكتسب من المهابة والإجلال في نفوسهم حتى كان ديوانهم وسجل معرفتهم، والمتمثل لحياتهم؛ لأنه نشاط هادف جاد، وله وظائف خطيرة وكثيرة، وهي وظائف خلقية، تعليمية، نفعية هامة.

من الوظائف المشهورة الهامة الشعر عندهم حماية القبيلة والدفاع عنها وإظهار شرفها، والشعر مصدر للمعرفة والفكر والحكمة، كما أنه مصدر أساسي لفهم التراث الديني المتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. من الوظائف الهامة للشعر تهذيب النفوس وتربيتها فيجعل البخيل كريماً والجبان شجاعاً، وأنه خير وسيلة لحفظ اللغة وتفصيح اللسان، منه تتخذ الشواهد والأمثال. فهو ليس فناً للفن، ولا متعة مجردة للمتعة. أنه حقاً فن ممتع لذيقه، ولكن هذه المتعة وهذه اللذة تطويان في ثناياها عند أغلب النقاد العرب غايات خلقية نفعية كثيرة وهما تستمران في تنمية النوازع الكريمة.

وأخيراً ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والسداد وأن يهدينا سبيل الحق والرشاد فإنه نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

1. ابن منظور، محمد جمال الدين محمد بن مكرم (ت : 711هـ) لسان العرب (دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط : 199م) مادة " شعر " .
2. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت : 817هـ) القاموس المحيط (دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط : 199م) : مادة " شعر " .
3. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، (مصر 394هـ . 1974م) ج : 1، ص : 56.
4. البلاغة ، تحقيق رمضان عبد التواب (مصر 1965م) ص : 8.
5. نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي (مصر 399هـ . 1979م) ص : 64.
6. الرسالة الموضحة. تحقيق د. محمد يوسف نجم (بيروت 1385هـ . 1965م) ص : 25.

7. ابن فارس، أحمد (ت : 395م) ، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق : السيد أحمد صقر (مصر 1977م) ص : 465.
8. انظر إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر (مصر 1963م) ص 51.
9. المقابسات، تحقيق : حسن السندوي (مصر 1929م) ص : 310.
10. السابق ، ص: 310.
11. رسالة الغفران، تحقيق: د/ عائشة عبد الرحمن (مصر 1977م) ج : 10 ، ص 119.
12. العمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مصر 1383هـ / 1963م) ج : 10 ص 119.
13. المقدمة (مصر بدون تاريخ) ص: 566.
14. الجرجاني، السيد الشريف على بن محمد، التعريفات (مكتبة لبنان، بيروت، ط : جديدة 1990م) ص 86.
15. الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (مصر 1383هـ . 1965م) ج : 1، ص : 75.
16. إعجاز القرآن ص : 59.
17. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تحت مادة الظاء والفاء.
18. الجوهري إسماعيل بن حماد (ت : 393هـ) الصحاح، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين، بيروت) تحت مادة " وظف " .
19. السابق تحت مادة " وظف " .
20. انظر نظرية الشعر في النقد العربي القديم، د/ عبد الفتاح عثمان. والمذاهب النقدية د/ ماهر حسن فهمي ص: 18.
21. انظر إحسان عباس، فن الشعر ص 17.
22. انظر صلاح عبد الصبور، قراءة جديدة لشعرنا القديم (دار العودة، بيروت ، ط : 3 1982م) ص : 10.
23. أرسطو طاليس ، فن الشعر، ترجمة متي بن يونس، تحقيق : شكري عياد (دار الكتاب، القاهرة 1967م) ص: 36.
24. البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط : 4، تاريخ (بدون) ص : 76.
25. السابق ج : 1 ، ص : 241.
26. عبد الكريم، اختيار المتمع في علم الشعر وعمله، تحقيق : محمود شاكر القطال (دار المعارف مصر، 1983م) ص : 25.

27. ابن رشيق ، العمدة في محاسن العشر وآدابه، ص : 153 (دار المعرفة).
28. شارل بلا، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب : رفيق بن وناس وجماعته، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م) ص: 86.
29. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (دار اليوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان) ص : 59.
30. تاريخ اللغة والآداب العربية ص : 87.
31. طبقات فحول الشعراء ص : 34.
32. بمحة المجالس 37/1.
33. الشعر والشعراء ص : 453.
34. الصاحبي ص: 77، و 467.
35. اللطائف والظرائف ص : 3.
36. شرح حماسة أبي تمام : ج : 1، ص : 3.
37. طبقات فحول الشعراء ص : 25.
38. عيون الأخبار ج : 2، ص: 184 - 185.
39. اختيار الممتع (ط : دار المعارف) ج : 1، ص: 130 .
40. ينظر عيار الشعر ص : 16 - 17.
41. د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص : 105.
42. المطفر العلوي، نصره الإغريض في نصره القريض : تحقيق د/فهمي عارف (مجمع اللغة العربية بدمشق 137 هـ . 1976م) ص : 358.
43. السيوطي : شرح شواهد المغني (لجنة التراث، بيروت) ج : 1، ص: 23.
44. سورة النحل : الآية : 47.
45. الشاطبي، أبو محمد القاسم بن فيره (ت : 590 هـ) الموافقات (المطبعة الرحمانية بمصر) ج : 87 - 88.
46. الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (القاهرة، ط : 2، 1954م) ج : 7 ص: 26.
47. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج : 1، ص: 119.
48. التبريزي، حماسة شرح أبي تمام (عالم الكتب، بيروت) ج : 1، ص : 3.

49. هو نافع بن عبد الرحمن، ولد بأصبهان في 70هـ، كان عالماً بوجوه القراءات والعربية، تلقى علمه من الشيوخ الكبار من الصحابة وتوفي 1691م.
50. الأحزاب : الآية 23.
51. بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن مسائل ابن الأزرق (دارا المعارف، مصر، القاهرة، 1971م) ص : 27.
52. طه : الآية : 119.
53. السيوطي، شرح شواهد المغني (لجنة التراث، بيروت) ج : 1، ص: 77، وانظر كثيرا من هذه المسائل في كتاب الدكتورة عائشة عبد الرحمن " إعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص : 289. 603.
54. الخطيب البغدادي (467هـ) الفقيه والمتفقه، تصحيح وتعليق : إسماعيل الأنصاري (دار الكتب العلمية، بيروت 1980) ج : 2، ص: 157.
55. السيوطي، المهر، تحقيق : محمد أحمد جاد المولي وعلي محمد البخاري وغيرها (مصر، عيسى البابي الحلبي) ج : 2، ص : 309.
56. الصاحبي، تحقيق : السيد صقر (مصر 1977م) ص : 467.
57. شرح حماسة لأبي تمام ج : 2، ص: 1.
58. الرازي، أبو حاتم، الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية، تحقيق : حسن بن فيض الهادي، (القاهرة 1957م) ج : 1، ص : 63.
59. ق : الآية : 18.
60. مظفر بن الفضل العلوي، نضرة الإغريض في نصره القريض، ص : 357.
61. مظفر بن الفضل العلوي، نضرة الإغريض في نصره القريض ص : 357.
62. العمدة ج : 1، ص : 29.
63. الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء (بيروت) ص : 1، ص: 80.
64. نضرة الإغريض ص : 357.
65. العقد الفريد ج : 5، ص : 281.
66. المصدر السابق ج : 5، ص: 274.
67. ديوان أبي تمام ج : 3، ص : 182.
68. عيون الأخبار 10/1.
69. التعالي، اللطائف والظرائف (المطبعة العامرية الشرقية، مصر 1300هـ) ص : 26.

70. الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق : د/ عبد الفتاح محمد الحلو (عيسى البايي الحلبي القاهرة 1381هـ . 1961م)، ص : 159.
71. ابن عبد البر القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق : مرسي الخولي (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1382هـ . 1962) ج : 1، ص : 35.
72. انظر اختيار الممتع : ص : 15.
73. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (بيروت بدون تاريخ) ج : 1، ص : 80.
74. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق : أحمد أمين وغيره، (القاهرة 1949م) ج : 5، ص : 274.
75. العقد الفريد 274/5.
76. اختيار الممتع : 15.
77. عيار الشعر ص : 16.
78. اللطائف والظرائف ص : 25 26.
79. منهاج البلغاء : 71.
80. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر : 105.
81. انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص : 221.
82. التعريفات (بيروت 1978م) ص : 123.
83. مجموع الفتاوى ج 2، ص : 43.
84. أبو أحمد العسكري، المصون، تحقيق عبد القيوم هارون (الكويت، 1960م) ص : 137.
85. المظفر بن الفضل العلوي، نصره الإغريض في نصره القريض، تحقيق : د/ نهي عارف الحسن، (مجمع اللغة العربية، دمشق 1396هـ . 1976م) ص : 357.
86. العقد الفريد (دار الكتب العلمية) ج : 6، ص : 124.
87. الصاحبي ص : 46.
88. ينظر إعجاز القرآن ص : 19.
89. اللطائف والظرائف ص : 26.
90. الصاحبي : 468.
91. دلائل الإعجاز ص : 71.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، مجموع الفتاوى.
2. إحسان عباس، الدكتور، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت 1404 هـ. 1983م.
3. إحسان عباس، الدكتور، فن الشعر، دار الثقافة بيروت.
4. أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: متى بن يونس، تحقيق: شكري عياد، دار الكتاب، القاهرة، 1977م.
5. الأصفهاني، الراغب الإمام العلامة الحسين بن محمد المفضل (ت: 502هـ)، محاضرات الأدباء، بيروت.
6. الباقلائي، أبو بكر ابن الطيب (ت: 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، مصر 1963م.
7. التريزي، شرح حماسة أبي تمام، عالم الكتب، بيروت.
8. الثعالبي، (429هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البايي الحلبي القاهرة 1381 هـ. 1961م.
9. الثعالبي، أبو منصور، اللطائف والظرائف، المطبعة العامرية الشرقية، مصر 1300 هـ.
10. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط: 4.
11. الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر 1383 هـ. 1965م.
12. الجرجاني، السيد الشريف، على محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط: جديدة 1990م.
13. الجرجاني عبد القاهر، (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز، مطبعة السعادة، مصر.
14. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ)، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت.
15. أبو حاتم الرازي، الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية، تحقيق: حسين بن فيض الهاني، القاهرة 1957م.
16. حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار اليوسف، بيروت لبنان.
17. أبو حيان التوحيد، المقتبسات، تحقيق: حسن السندي، مصر 1929م.
18. الخطيب البغدادي (ت 467هـ)، الفقه والمتفقه، تصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

19. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت : 808 هـ)، المقدمة، تحقيق : الدكتور على عبد الواحد وافي، القاهرة 1960م، مصر.
20. الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت : 175 هـ)، كتاب العين تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، انتشارات أسوة، مطبعة باقري، قم، ط : 1 ، 1414 هـ.
21. ابن رشيق القيرواني، (ت : 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مصر 1383 هـ . 1963م.
22. ابن سلام الجهمي (ت : 232 هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق : محمود شاكر، مصر، 1394 هـ . 1973م.
23. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، مصر، ط : 2 ، 1951م.
24. السيوطي، شرح شواهد المغني، لجنة التراث، بيروت.
25. السيوطي، المزهر، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى على محمد البخاري وغيره، مصر عيسى البابي الحلبي.
26. شارل بلا، تاريخ اللغة والآداب العربي، تعريب : رفيق بن وناس وجماعته، دار الغرب الإسلامي ط : 1، بيروت 1997م.
27. الشاطبي أبو محمد قاسم بن فيرة (ت: 590 هـ)، الموافقات، المطبعة الرحمانية، بمصر.
28. صلاح عبد الصبور، قراءة جديدة لشعرنا القديم، دار العودة، بيروت، ط: 3 ، 1982م.
29. ابن طباطبغا العلوي (ت : 322 هـ)، عيار الشعر ، تحقيق : طه الحجازي وعمود غلoul سلام، مصر، 1956م.
30. الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة، ط : 2 ، 1954م.
31. ابن عبد ربه (ت : 328 هـ)، العقد الفريد، تحقيق : أحمد أمين وغيره، القاهرة 1949م.
32. عبد الفتاح عثمان، نظرية الشعر في النقد العربي القديم.
33. العسكري، أبو أحمد، المصون، تحقيق : عبد السلام هارون، الكويت 1960م.
34. العلوي، المظفر، نصره الإغريض في نصره القريض، تحقيق : د/فهمي عارف، مجمع اللغة العربية بدمشق 1366 هـ . 1976م.
35. ابن فارس، الصاجي، تحقيق : السيد صقر، مصر، 1977م.

36. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت : 817هـ)، قاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط : 1 ، 1991م.
37. أبو الحسن حازم القرطاجني، (ت : 684هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : الأستاذ محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس 1966م.
38. قدامة بن جعفر (ت : 326هـ)، نقد الشعر، تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي، مصر 1399 م. 1979م.
39. أبو محمد ابن قتيبة (ت : 276هـ)، عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1973م.
40. أبو محمد ابن قتيبة (ت : 276هـ)، الشعر والشعراء ، ط : دار الثقافة، بيروت 1969م
41. ماهر حسن فهمي، المذاهب النقدية.
42. المبرد أبو العباس (ت : 286هـ)، البلاغة، تحقيق : رمضان عبد التواب ، مصر 1965م
43. المعري، أبو العلاء (ت : 449هـ)، رسالة الغفران، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن.
44. ابن منظور محمد جمال الدين محمد بن مكرم (ت : 711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط: 1995م
45. النهشلي، عبد الكريم، اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق : محمود شاكر القطان، دار المعارف، مصر، 1983م.

